كان لباس الانبياء وشعار الصالحين وقد اعتبر المعنيين معا ابو علي الروذ
باري فقال الصوفي من لبس الصوف على الصفا واطعم الهوا طعم ذوق الجفا
وكانت الدنيا منه في القفا وسلك منهاج المصطفى وقيل هو منقول من صوفي
الجني للمفعول كما قيل وليس ليشتهر بالصوفي غير فتى صافي فصوفي حتى سمي الصوفي
ومن ثم قال بندار بن الحسين الصوفي من اختاره الحق لنفسه فصافاه وعن
نفسه براه ولم يرده الى تعمل وتكلف بدعوى وقد استشهد في الشرح بالبيت
المذكور للقول الاول وليس على ما ينبغي قال فيه وحدوث التصوف دون علم
بخلاف العلوم السابقة لان صاحبه احوج الى حده منه الى حد علم لعلم
اعتنايه بذلك الذي هو شان المدققين في الظاهر **وقوله** فراقب الى
اخره اي اذا عرفت المقصود من التصوف فراقب مولاك في جميع احوالك
بان تعبده كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك بان تراعي في افعالك
احكامه الشرعية المتعلقة بها فابدا منها بفعل الفرض اي المفروض
الذي افترضه عليك اي اوجبه وهو المامور به امرا جازما وترك المحرم
اي الكف عن المحرم وهو المنهي عنه نهيا جازما كبيرا كان او صغيرا ثم
بفعل النفل وهو المامور به امرا غير جازم وترك المكروه اي الكف عنه وهو المنهي
عنه نهيا غير جازم ففي الحديث عن الله ما تقرب الي عبدي بشي احب الي من
اداء ما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا
احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها
ورجله التي يمشي بها ولين سالني لاعطينه ولين استعاذني لاعيذنه رواه
البخاري ففيه ان اداء الفرايض احب الى الله تعالى من اداء النوافل
وعلى هذا فقد استشكل كون النوافل تنتج المحبة ولا تنتجها الفرايض و
اجيب بانها انما انتجت المحبة دون الفرايض لان الاتيان بها لمحض المحبة
بخلاف الفرايض على انما تنتج المحبة اذا كانت مع الفرايض فان الفرد
عنها لم تنتج المحبة وانما تنتج البعد والقطيعة قال ابراهيم الخواص رضي الله
عنه انقطع الخلق عن الله بخصلتين احدهما انهم طلبوا النوافل وضيعوا

الفرايض

٣٢٢

الفرايض والثانية انهم عملوا اعمالا في الظاهر ولم ياخذوا انفسهم بالصدق
فيها والنصح بها وابى الله ان يقبل عملا من عامل الا بالصدق واصابة الحق
وقال محمد بن الورد هلاك الناس في حرفين اشتغال بنافلة وتضييع فريضة
وعمل بالجوارح بلا مواطاة القلب عليه وانما حرموا الوصول بتضييعهم الاصول
وقد استشكل ايضا كيف يكون البارئ سمع العبد وبصره الى اخره واجيب
باجوبة منها ان المعنى ان كليته مشغولة بي فلا يصغي سمعه الا الى ما يرضيني
ولا يرى ببصره الا ما امرته به الى اخره ومنها انه على حذف مضاف اي كنت
حافظا سمعه الذي يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك
الى اخره ذكر ذلك الفاكهاني ثم قال ويحتمل معنى اخر ادق من الذي قبله
وهو ان يكون بمعنى اسم المفعول مثل فلان اميري اي مامولي والمعنى انه لا
يسمع الا ذكري ولا يتلذذ الا بتلاوة كتابي ولا يانس الا بمناجاتي ولا
ينظر الا في عجايب ملكوتي ولا يمد يده الا فيما فيه رضاي ورجله كذلك
انتهى واحسن من ذلك ان المراد ان الله تعالى يتولى محبوبه في جميع احواله
وحركاته وسكناته به تعالى كما ان ابوي الطفل بمحبتهما له التي اسكنها الله
في قلوبهما يتوليان جميع احواله فلا ياكل الا بيد احدهما ولا يمشي الا برجله
الى غير ذلك فنفيت صفاته وقامت صفات الابوين مقامها ولشدة اعتنا
بهما بحفظه وفي الحديث اللهم كلاة كلاة الوليد **وقوله** وكن منهما الى
اخره اي وكن منهما مهتما بترك ما نهى عنه محرما كان او مكروها اشد من
فعل المامور به فرضا كان او نفلا لان الترك اسهل من الفعل ومن
قواعد الشرع ان درء المفاسد اولى من جلب المصالح ولهذا قيل ان لم
تستطع ان تطيع الله فلا تعصيه وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة
ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم علق
المامور على الاستطاعة دون المنهي لسهولة الاجتناب ذكر ذلك في
الشرح ثم قال لكن في معجم الطبراني من حديث اذا امرتكم بشي فاتوه واذا
نهيتكم عن شي فاجتنبوه ما استطعتم وعندي ان هذه الرواية غلط